

أضواء البيان

@ 430 { وَتَمَّتْ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ }
والذَّاسِ أَجْمَعِينَ { قال : فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ،
وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله تعالى : { لَقَدْ دُحِّقَ
الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ } ، لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام
التوطئة في لأملأن على أنه يملأ جهنم من الجنة والناس ، دليل على أنها لا بد أن تمتلئ ،
ولذا قالوا : إن معنى هل من مزيد ، لا مزيد ، لأنني قد امتلأت فليس في محل للمزيد ، وأما
القول الآخر ، فهو أن المراد بالاستفهام في قول النار : هل من مزيد ؟ هو طلبها للزيادة ،
وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط أي
كفاني قد امتلأت ، وهذا الأخير هو الأصح ، ولما ثبت في الصحيحين ، وغيرهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم (أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي
بعضها إلى بعض وتقول قط قط) ، لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط ،
أي كفاني قد امتلأت ، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة ، وهذا الحديث الصحيح
من أحاديث الصفات ، وقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة الأعراف والقتال . واعلم أن
قول النار في هذه الآية : هل من مزيد ، قول حقيقي ينطقها الله به ، فرغم بعض أهل العلم
أنه كقول الحوض : (أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي
بعضها إلى بعض وتقول قط قط) ، لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط ،
أي كفاني قد امتلأت ، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة ، وهذا الحديث الصحيح
من أحاديث الصفات ، وقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة الأعراف والقتال . واعلم أن
قول النار في هذه الآية : هل من مزيد ، قول حقيقي ينطقها الله به ، فرغم بعض أهل العلم
أنه كقول الحوض : % (امتلأ الحوض فقال قطني % مهلاً رويداً قد ملأت بطني) % .
وأن المراد بقولها ذلك هو ما يفهم من حالها خلاف التحقيق وقد أوضحنا ذلك بأدلته في
سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى : { إِذَا رَأَوْهُمُ مُّسِينَ مَّكَانٍ بِعِيدٍ
سَمِعُوا لَهُمْ لَهْجَةً تَغِيظُ الظَّالِمِينَ } . والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : {
وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } . قوله : أزلفت أي قربت .
وقوله غير بعيد : فيه معنى التوكيد لقوله : أزلفت سواء أعربت غير بعيد بأنها حال أو
طرف ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إزلاف الجنة للمتقين جاء في مواضع أخر من كتاب
الله كقوله تعالى : { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } ،

وقوله تعالى : { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ
لِلْغَاوِينَ } .